أثر العمل الخيري
في حفظ الدين والنفس
«دراسة مقاصديّة»

إعداد

د/ عبد العظيم رمضان عبد الصادق أحمد

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة – جامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مستخلص الدراسة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد والصلاة والسلام على خير الرسل وأفضل الخلق محمد بن عبد الله وعلى آلة وصحبه ومن والاه وبعد.

فإن البحث في مقاصد الشريعة الكليّة والجزئيّة وتطبيقاتها في جوانب الحياة المختلفة لا يزال هو بغية العلماء وطلاب العلم والباحثين، فالبحث في المقاصد الجزئيّة بحر عميق ومتجدد بتجدّد الحوادث والوقائع والزمان والمكان، ولا تزال الحاجة ماسة إلي بيان المقاصد الضرورية وتطبيقاتها وآثارها، وما شرعه الله تعالى لحفظها. ومما شرع لحفظ الضروريّات الخمس – الدين والنفس والمال والعقل والنسل – العمل الخيري.

فهذه دراسة تهدف إلي إبراز مقاصد الشريعة وتوجيهها للسلوك الفردي والجماعي للتفاعل مع قضايا المجتمع كذلك تهدف إلي بيان العمل الخيري وأهميته ودوره في حفظ مقاصد الشريعة الضروريَّة وهي تأتي تحت عنوان: (أثر العمل الخيري في حفظ الدِّين والنَّفس – دراسة مقاصديَّة).

تتبعت فيها النصوص الخاصة بالعمل الخيري في جانب المحافظة على الدين والنفس ومن ثم الوقوف على مدى تأثير العمل الخير في المحافظة على المقاصد الضرورية ومقصدي الدين والنفس على وجه الخصوص وأقوال علماء المقاصد.

وقد أجاب البحث على سؤالات وهي:

- ما هو مفهوم العمل الخيري وما هي أنواعه ووسائله ؟
- ماهي المقاصد الضرورية وما المقصود بحفظها ؟
- هل للعمل الخيري أثر في حفظ مقاصد الشريعة ؟
- هل للعمل الخيري أثر في حفظ المقاصد الضروريَّة ومقصد النفس ومقصد الدين ؟

وتبعت في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي والتطبيق على بعض الأمثلة والمسائل في مجال العمل الخيري. ثم خلصت من كل ذلك إلي نتائج ذيّلت بها البحث.

د/ عبد العظيم رمضان عبد الصادق أحمد

Abstract

All praise is due to Allah

This research handles the purposes of macro and micro purposes of Sharia and its application in various aspects of life, where this topic is still the focus for scholars, students and researchers. The research in micro purposes is broad and always required due to the renewal of accidents, facts, time and space, as well as the urgent need towards clarifying the necessary purposes, their application and their effects, and what God has prescribed for their preservation in addition to preservation of the Five Necessities in Islam - religion, self, wealth, intellect, lineage and their relation to charitable work.

This is a study aimed at highlighting the purposes of Sharia and directing it to individual and group behavior to interact with community issues. It also aims to demonstrate charitable work, its importance and its role in preserving the purposes of the five necessities of Sharia. This research is entitled: (The Impact of Charitable Work on Preserving Religion and Self: Purposeful Study)

The researcher follows the texts related to charitable work on the side of preserving religion and self, and then determining the extent of the effect of charitable work in maintaining the necessary purposes, especially religion and self, and sayings of scholars.

The research answered the following questions:

What is the concept of charitable work and what are its types and means؟

What are the necessary purposes and what is meant by preserving them؟

Does charity work have impact on preserving the purposes of Sharia؟

Does charitable work have an effect in preserving the necessary purposes, the purpose of self and the purpose of religion؟

The researcher employed in writing this research the descriptive analytical method, and applying it to some examples and issues in the charitable work, then the findings

Key words: **Charitable Work - Preservation - Religion - Self – Necessity – Existence - Nothingness - Intentions - Interests – the Great Intended Purpose of Sharia**

Dr. Abdel-Azim Ramadan Abdel-Sadiq Ahmed; Associate Professor, Faculty of Sharia, Umm Al-Qura University, Makkah

Email: ramadansadig@gmail.com

Praise be to Allah

The research in the purposes of the whole and partial Sharia and its applications in various aspects of life is still for the sake of scientists and students of science and researchers. Charity work was initiated to preserve the five essentials - religion, self-money, reason and offspring.

This study aims at highlighting the purposes of the Sharia and directing it to individual and collective behavior to interact with the issues of society.

I followed the texts on charitable work in the aspect of the preservation of religion and self and then to determine the extent of the impact of good work in the preservation of the necessary purposes and the purposes of religion and self in particular and the words of scholars of destination.

The research answered the following questions:

- **What is the concept of charity work and what are its types and means?**
- **What are the necessary purposes and what is meant by keeping them?**
- **Does charity work have an effect in memorizing the purposes of Sharia?**
- **Does charity work have an effect in memorizing the purposes of Sharia?**

In this research, the descriptive and analytical approach was followed and applied to some examples and issues in the field of charitable work. Then I concluded all of this to the results of the research.

Dr. Abdel Azim Ramadan Abdel Sadig Ahmed

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان لمقصد وغاية فقال: □ □ □ □ □ □ □ [سورة الذاريات، آية ٥٩]، والذي شرع الأحكام لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل فقال: □ □ □ □ □ يم يي □ □ □ □ □ ّ ّ ّ ّ [سورة إبراهيم، آية ١]، أحمده على نعمة الإيمان وعلى هداية الإسلام، وأصلّي وأسلّم على من بعثه الله وأنزل معه الكتاب لهداية البشرية فقال: لخ لم لى لي □ □□ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □يم يي □ □ □ □ □ ّ ّ ّ ّ □ □ □ □ □ □ □□ بر □ □ بن بى [سورة الشورى، الآيتان ٥٢-٥٣].

فإن البحث في مقاصد الشريعة الكليّة والجزئيّة وتطبيقاتها في جوانب الحياة المختلفة لا يزال هو بغية العلماء وطلاب العلم والباحثين، فالبحث في المقاصد الجزئيّة بحر عميق ومتجدد بتجدّد الحوادث والوقائع والزمان والمكان، ولا تزال الحاجة ماسة إلي بيان المقاصد الضرورية وتطبيقاتها وآثارها، وما شرعه الله تعالى لحفظها، ومما شرع لحفظ الضروريّات الخمس – الدين والنفس والمال والعقل والنسل – العمل الخيري، وهذا البحث محاولة لبيان أثر العمل الخيري في حفظ الضروريات الخمس – الدين والنفس نموذجاً – وعنوانه: «أثر العمل الخيري في حفظ الدين والنفس – دراسة مقاصدية».

أسباب اختيار الموضوع:

١- باعتبار أن الدين هو مقصود الشريعة الاعظم، وهو أعلى مراتب

الضروريات الخمس.

٢- باعتبار أن النفس من لوازم الدين، ولا قوام للدين دون حفظ النفس، وهي تأتي بعد الدين في الرتبة.

٣- للتعرف على تأثير العمل الخيري في حفظ مقاصد الشريعة الضروريَّة ومقصد الدين والنفس على وجه الخصوص.

أهميّة البحث:

تأتي أهميّة البحث في إبراز مقاصد الشريعة وتوجيهها لسلوك الفرد والجماعة للتفاعل مع قضايا المجتمع، وحضّها وترغيبها في العمل الخيري، وتوجيه الأموال والطاقات الإنسانية لحفظ المقاصد ولتحقيق مصالح المجتمع الدينيّة والدنيويّة.

أهداف البحث:

١- بيان هيمنة الشريعة على سائر الأديان بالدعوة إلى العمل الخيري لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة.

٢- بيان أهمية العمل الخيري ودوره في حفظ مقاصد الشريعة الضروريَّة.

٣- بيان أثر العمل الخيري في حفظ الدين والنفس من جانبي الوجود والعدم.

منهج البحث:

سلكت في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي والتطبيق على بعض المسائل في العمل الخيري.

الدراسات السابقة:

لم أعثر فيما اطلعت عليه من الدراسات والبحوث المشابهة على بحث بهذا العنوان، فكل ما وجدت دراسات وبحوثا في المقاصد الضرورية أو

الضروريات الخمس أو إفراد كل ضروري بالبحث والدراسة، أمَّا بحثي فيتناول أثر العمل الخيري تطبيقا على مقصدي الدين والنفس.

خطة البحث: جاءت خطة البحث في ثلاثة مباحث بيانها في التالي:

المبحث الأول: تعريف العمل الخيري وتأصيله ووسائله وإشارة إلى الضروريات الخمس وبيان الحفظ عند علماء المقاصد وأنواعه. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العمل الخيري.

المطلب الثاني: تأصيل العمل الخيري ووسائله.

المطلب الثالث: الضروريات الخمس وبيان المقصود بحفظها في الشريعة الإسلامية.

المطلب الرابع: بيان الحفظ عند علماء المقاصد وأنواعه.

المبحث الثاني: أثر العمل الخيري في حفظ الدين. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الدين.

المطلب الثاني: أثر العمل الخيري في حفظ الدين من جانب الوجود.

المطلب الثالث: أثر العمل الخيري في حفظ الدين من جانب العدم.

المبحث الثالث: أثر العمل الخيري في حفظ النفس. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النفس.

المطلب الثاني: أثر العمل الخيري في حفظ النفس من جانب الوجود.

المطلب الثالث: أثر العمل الخيري في حفظ النفس من جانب العدم.

الخاتمة والنتائج.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول

تعريف العمل الخيري وتأصيله ووسائله وإشارة إلى الضرورات الخمس وبيان الحفظ عند علماء المقاصد وأنواعه

المطلب الأول

تعريف العمل الخيري

العمل لغة: هو من عمل الشيء، أي: فعله وصنعه[1]، والخير ضد الشر، وهو ما يزيد من سعادة الإنسان، والخير: الكرم والشرف والأصل والطبيعة[2].

والخيري: نسبة إلى الخير، وهو بالكسر الكرم والجود، يقال: رجل خيري، أي: صفي مأخوذ من الخير وهو الكرم[3].

ويشمل العمل الجانب المعنوي، وهو أعمال الفكر والنظر ليدخل في ذلك التخطيط[4].

والعمل الخيري مصطلح يعرّف بأنه: نشاط يقوم به بعض الأفراد أو الجماعات بهدف تقديم سلع أو خدمات أو إعانات، أو غير ذلك مما يحتاج الناس إليه عادة، ويكون بدون مقابل[5].

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم ١٧٨/٢، معجم اللغة العربية المعاصرة ١٧٢٤/٣.

(٢) انظر: المعجم الوسيط ٢٦٤/١، مختار الصحاح ٩٩/١.

(٣) انظر: المنجد في اللغة ١٩٦/١، المصباح المنير ١٨٥/١.

(٤) تهذيب اللغة ٢٥٥/٢.

(٥) موقع ويكبيديا بالشبكة العنكبوتية للمعلومات، الانترنت.

وعرّف أيضاً بأنه: كل مال أو جهد أو وقت يُبذل من أجل نفع الناس وإسنادهم والتخفيف عن معاناتهم[١].

إذن ما يميّز العمل الخيري عن غيره من الأنشطة التجارية التي تهدف إلى تقديم الخدمات والإعانات لمن يحتاجها كذلك؛ أن العمل الخيري يكون بدون مقابل مادي أو مالي، وهو بذلك يختلف عن النشاط التجاري؛ إذ إن النشاط التجاري يهدف إلى المردود والعائد المالي والربحي.

المطلب الثاني

تأصيل العمل الخيري ووسائله

عمل الخير في الإسلام نوعان[٢]:

أحدهما: ما كان قاصراً على فاعله، وهذا ظاهر من الأعمال التعبّديّة التي يقوم بها المسلم كعموم الطاعات والقربات.

الثاني: ما كان نفعه متعدّياً إلى الآخرين، فيصل الخير إلى الغير.

وهذا النوع الثاني جاءت النصوص مؤكّدة لأهميته وفضله، فمن هذه النصوص:

قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ تن تى تي □ □ □ □ □ □ بن بى بي تر

□ □□ □ □ □ □□ □ □ □ [سورة البقرة، آية ٢٦١].

(١) ينظر: ثقافة العمل الخيري، أ.د/ عبد الكريم بكار ص١٢.

(٢) انظر: العمل الخيري والتطوعي، د/ سلطان بن عمر الحصين، بحث منشور بمجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٧٤.

وقوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ [سورة البقرة، آية ٢٧٢].

وقوله تعالى: □ ى ي □ [سورة الحج، آية ٧٧].

وقوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ يم ي □ □ □ □ ّ ٍ ً ُ ٍ [سورة الإنسان، الآيتان ٨، ٩].

ومن السنة حديث أبي هريرة أن النبي – ﷺ – قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(١).

وفي حديث عبد الله بن عمر – م –: أن رجلا جاء إلى رسول الله – ﷺ –، فقال: يا رسول الله أي الناس أحبّ إلى الله؟ وأي الأعمال أحبّ إلى الله – ﷻ –؟ فقال رسول الله – ﷺ –: «أحبّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبّ الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحبّ إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة، شهراً، ومن كفّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله – ﷻ – قلبه أمناً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له أثبت الله – ﷻ – قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام»(٢).

(١) أخرجه مسلم في باب ما يلحق بالإنسان بعد وفاته ١٢٥٥/٢.
(٢) أخرجه الطبراني في الاوسط ١٣٩/٦، وصحّحه الألباني وقال: (حديث حسن)، السلسلة الصحيحة ٥٧٥/٢.

فتلك الآيات وهذان الحديثان وغيرهما مما لم يذكر، أصل عظيم في فضل العمل الخيري وأهميته، فالعمل الخيري له أثر يعود على الفرد وعلى الجماعة في الدنيا والآخرة. ففي الدنيا يعود على الفرد بأن يخلص نفسه من الشحّ والبخل وبحصول التآخي والترابط الاجتماعي وبالشعور والإحساس بالفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات. أما في الآخرة فالأجر العظيم والفوز بجنة النعيم.

وسائل العمل الخيري:

للعمل الخيري وسائل وأنواع كثيرة يرتبط جميعها بتحقيق الخير للناس وتقديم العون والمساعدة لهم من غير مردود ماديّ ماليّ أو ربحيّ. ومن هذه الأنواع:

- **إنفاق الأموال والصدقات:**

وقد ورد في ذلك آيات وأحاديث كثيرة، منها قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ ى ي □ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم [سورة البقرة، آية ٢٦٢].

وقوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ي [سورة البقرة، آية ٢٦٧].

وقوله تعالى: ُّ ِّ □ □ □ □ □ □ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □ □ تن تى تي □ □ [سورة الليل، الآيات ١٧-٢١].

ومن حديث أبي هريرة - ﷺ - أن النبي - ﷺ - قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً،

ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[1].

فجملة النصوص تأمر وتحضّ على التصدّق وإنفاق الأموال على الفقراء والمحتاجين ومواساتهم.

- المساعدات العينيّة من الطعام والشراب والكساء والدواء:

فمن القرآن الكريم قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ يم يي □ □ □ □ ُّ ِّ َّ ُّ ّٰ □ □ □ □ □ □ □ □ بر [سورة الإنسان، الآيات ٨-١٠].

وقوله تعالى: حم □ خم □ □ □ سم □ □ □ □ □ □ □ □ □ سورة البلد، الآيات ١٤-١٦].

ومن السنة قوله - ﷺ -: «خياركم من أطعم الطعام»[2].

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «ليس صدقة أعظم أجراً من ماء»[3].

فهذه النصوص فيها إظهار الشفقة والرحمة والمودة وسد حاجة الفقير والمحتاج من الجوع والعطش، وفيها معنى الترابط والتكاتف والتعاضد بين أفراد المجتمع، ويلحق بذلك كسوة الفقير ودواء المريض الذي لا يجد قيمة الدواء.

- التعاون والمساعدة باليد وإغاثة الملهوف:

---

(١) البخاري في باب قوله تعالى: { فأما من اعطى واتقى } ١١٥/٢، مسلم في باب المنفق والممسك ٧١١/٢.

(٢) مسند أحمد ٣٤٨/٣٩.

(٣) البيهقي في شعب الإيمان ٦٧/٥.

ومما يدلّ على هذا النوع من أعمال الخير قولـه تعالى: □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ □ □ لج لح لخ لم له [سورة المائدة، آية ٢].

وقد وصف الله تعالى رسوله – ﷺ – بقوله: لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ [سورة الفتح، آية ٢٩].

ومن السنة قوله – ﷺ –: «كل نفس كتب عليها الصدقة كل يوم طلعت فيه الشمس، فمن ذلك: أن تعدل بين الاثنين صدقة، وأن تعين الرجل على دابته وتحمله عليها صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة، ومن ذلك أن تعين الرجل على دابته وتحمله عليها، وترفع متاعه عليها صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشي بها إلى الصلاة صدقة»(١).

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية – أعني آية التعاون –: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم)(٢).

وفي الحديث حضّ وترغيب لإغاثة الملهوف وتقديم العون والمساعدة له، وتكون الإغاثة والمعاونة بصور مختلفة كما جاء في الحديث الشريف.

(١) ابن خزيمة في صحيحه ٣٧٤/٢.

(٢) تفسير ابن كثير ١٢/٢.

- **الدعوة والإرشاد والتوجيه:**

من مظاهر العمل الخيري ووسائله الدعوة إلى الله وإرشاد الناس وتوجيههم إلى ما فيه صلاحهم الدنيوي والأخروي، وفي ذلك يقول الحقّ تبارك وتعالى: □ بن بى بي تر □ □ تن تى تي □ □ □ [سورة فصلت، آية ٣٣].

وقال تعالى: تج تح تخ تم ته ثم □ جم □حم □ خم □ [سورة البقرة، آية ٢٦٣].

وفي الحديث يقول النبي – ﷺ –: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»(١).

فإن خير ما يقدم به المسلم ويعمل أن يدعو الناس إلى الله تعالى، وأن يقول المعروف، وأن يكون سبباً لإصلاح حياة الناس ومنع العقوبة عنهم، وأن يمنع عنهم الفساد الواقع أو المتوقع.

- **الإصلاح الاجتماعي وإصلاح ذات البين:**

إن من أفضل أعمال الخير التي يقوم بها الفرد المسلم أو الجماعة المسلمة الإصلاح في المجتمع والصلح بين الناس، وفي هذا يقول تعالى:

لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ [سورة النساء، آية ١١٤].

وقوله تعالى: □ □ □ □ نم [سورة الأنفال، آية ١].

---

(١) صحيح مسلم في باب من سنّ سنة حسنة ٤/٢٦٠.

وفي الحديث يقول النبي – ﷺ –: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى، يا رسول الله قال: «إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة»[(١)].

فإصلاح ذات البين والإصلاح الاجتماعي من الأعمال التي رغبت فيها الشريعة، وذلك بهدف تحقيق الأخوة وجمع القلوب وحفظ العلاقات بين المسلمين ودفع كل دواعي الاختلاف والتفرّق والخصومة بين المسلمين أو بين الأزواج.

فجملة القول إن عمل الخير يشمل كل جوانب حياة الناس فلا يتوقّف على جانب واحد، ويؤدى من الأفراد والجماعات والمؤسّسات ويؤدى بالوسائل المتاحة سواء كانت ماليّة أو فكريّة أو يدويّة.

المطلب الثالث

الضروريات الخمس وبيان المقصود بحفظها في الشريعة الإسلامية

بالضروريات الخمس: هي التي لا بدّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت الحياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين[(٢)].

ومجموع هذه الضروريات خمس كما تقدم وهي: الدين والنفس والعقل والمال والنسل، وقد اتفقت الأمة – بل سائر الملل– على أن الشريعة وضعت للمحافظة على هذه الضروريّات[(٣)].

---

(١) سنن أبي داود باب إصلاح ذات البين ٤/٢٨١.

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي ٢/١٨.

(٣) الموافقات ١/٣١.

وبعض العلماء يجعل الضروريّات ست بذكر: (العرض) ومنهم من يدرج (العرض) في النسل[١].

قال الإمام الشاطبيّ في الموافقات: (وإن ألحق بالضروريات حفظ العرض؛ فله في الكتاب أصل شرحته السنة في اللعان والقذف)[٢].

وقال محمد طاهر بن عاشور: (وأما حفظ العرض في الضروري فليس بصحيح، والصواب أنه من قبيل الحاجي)[٣].

والحصر في هذه الخمسة الأنواع إنما كان نظراً إلى الواقع، والعلم بانتفاء مقصد ضروري خارج عنها في العادة[٤].

فهذه الضروريّات الخمس تغطي جميع جوانب الحياة الإنسانية، ولا يوجد شيء من ضروريّات الحياة يخرج منها، وهي كذلك تجمع الأصول التي تقوم عليها حياة الإنسان.

والترتيب في الضروريّات على النحو الذي مرّ اختلف فيه العلماء، ولكن أغلب المتقدّمين منهم على أن رتبة الدين هي أعلى وأجلّ المراتب رتبة ثم يليها رتبة النفس.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن هذه الضروريّات الخمس من المقاصد التي جاءت الشريعة لتحقيقها، وغايتها وهدفها بذلك تحقيق المصالح

---

(١) انظر: الموافقات ٣١/١، الإحكام للآمدي ٧٤/٣، مختصر التحرير شرح الكوكب المنير ٤٤٤/٤، شرح مختصر الروضة ٢٠٩/٣.

(٢) الموافقات ٣٤٩/٤.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية ص٩١.

(٤) انظر: الإحكام للآمدي ٢٧٤/٣.

للمكلّفين ودفع المفاسد عنهم، وهي – أي الضروريّات الخمس – درجة من درجات مقاصد الشريعة لتحقيق تلك المصالح، بل هي أعلى الدرجات، ويليها المقاصد الحاجية والتحسينية، ولما كان بحثي في بعض أنواع المقاصد الضروريّة وهي الدين والنفس، اختصرت الحديث عنهما دون غيرهما.

المطلب الرابع

حفظ الضروريات الخمس في الشريعة الإسلامية

إن الحفاظ على الضروريّات الخمس من أهم مقاصد الشريعة، ومن أسمى مطالبها وأجلّ حكمها، وهو واجب على كل إنسان مكلّف بإجماع جميع الملل[١]، وفي هذا يقول الشاطبي: (وأن الشريعة مبنية على حفظ الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وجميع ذلك لم ينسخ منه شيء)[٢].

وقال في الاعتصام: (إن الكبائر منحصرة في الإخلال بالضروريات المعتبرة في كل ملة. وهي الدين والنفس والنسل والعقل والمال)[٣].

وحفظ هذه الضروريّات بأمرين[٤]:

أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.

الثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم.

---

(١) انظر: نشر البنود على مراقي السعود ١٧٩/٢.

(٢) الموافقات ٣٣٨/٣.

(٣) الاعتصام ٣٨٩/٢.

(٤) انظر: الموافقات ١٨/٢.

فالمقصود بالحفظ من جانب الوجود ما يقيم أصل وجودها أو يعمل على تثبيتها في مواقع الوجود البشري، وكل ما من شأنه دفع الاختلال الذي يعرض لها في الواقع الوجودي، يكون حفظاً لها من جانب العدم.

وبالنظر إلى ما ذكرت آنفاً من أن قصد الشارع من هذه الضروريّات هو رعاية المصالح ودفع المفاسد، فيبقى القول: بأن كل ما يتضمّن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوتها فهو مفسدة، ودفعها مصلحة[1].

(١) المستصفى ١/٧.

المبحث الثاني

أثر العمل الخيري في حفظ الدين

المطلب الأول

تعريف الدين

الدين في اللغة: الطاعة: دانوا لفلان، أي: أطاعوه[1]، فإذا أطلق الدين فهو الطاعة العامة التي يجازى عليها بالثواب مثل قوله تعالى: □ □ بر □ □ [سورة آل عمران آية١٩]، وإذا قيّد اختلفت دلالته.

ويأتي الدين بمعنى الحساب، ومنه قوله تعالى: نم نى □ [سورة الفاتحة، آية ٤].

ويأتي بمعنى الجزاء والمكافأة، فيوم الدين يوم الجزاء والمكافأة، وفي المثل: كما تدين تدان، أي: كما تجازي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت[2].

ويطلق على كل ملة نبي وقد يخصّ بالإسلام كما قال تعالى: □ □ بر □ □ [سورة آل عمران، آية ١٩].

فالظاهر مما تقدّم من تلك التعريفات في اللغة تعدّد معاني الدين ما بين القيد والإطلاق.

أما الدين في الاصطلاح فيعرّف بأنه: (وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل. وهذا يشمل

(١) لسان العرب ١٦٩/١٣، العين ٧٢/٨.

(٢) لسان العرب ١٦٩/١٣.

العقائد والأعمال)[1].

فهذا التعريف يصرّح بثلاثة أمور جوهريّة[2].

أحدها: إن الدين وضع إلهي وليس من إيحاء النفس أو تخيّل العقل أو تنظيم الإنسان.

الثاني: أن الدين عقيدة وشريعة، أو عقيدة ونظام في الحياة.

الثالث: يبيّن الربط بين العقيدة والعقل، وأنه متّفق مع العقل السليم، ولا توجد مناقضة ولا منافاة بين الدين والعقل.

وقد وردت آيات كثيرة تستعمل كلمة الدين بالمعنى الكامل والشامل لجميع نواحي الحياة الاعتقادية والفكرية والعملية والأخلاقية، ومن تلك الآيات قوله تعالى: □ □ بر □ □ [سورة آل عمران، الآية ١٩]، وقوله تعالى: ّ ً ُ ٍ □ □ □ □ □ □ □ □ بر □ [سورة آل عمران، آية ٨٥].

المطلب الثاني

أثر العمل الخيري في حفظ الدين من جانب الوجود

إذا سبق تعريف الدين في الاصطلاح كان لا بدّ من الإشارة إلى أن علماء مقاصد الشريعة اعتبروا الدين هو المقصد الأساس الذي أقام الله عزّ وجلّ لأجله حياة الدنيا؛ لأنه ينظّم العلاقة بين الإنسان وربّه، وينظّم العبادات والمعاملات بين الناس، ويجعل المجتمع يعيش في حياة سعيدة، بعيدة عن

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ١/٨١٤.

(٢) انظر: وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، د/ محمد الزحيلي ص٢٠.

إشكال الانحراف والجريمة والعنف[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن معرفة رب العالمين غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب)[2].

ويقول العز بن عبدالسلام وهو يتكلّم عن رتب المصالح: (فأفضل المصالح ما كان شريفاً في نفسه، دافعاً لأقبح المفاسد، جالباً لأرجح المصالح، وقد سئل – ﷺ – أي الأعمال أفضل؟ فقال: إيمان بالله، قيل: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم أي؟ قال: حج مبرور»[3]، جعل الإيمان أفضل الأعمال لجلبه لأحسن المصالح، ودرئه لأقبح المفاسد، مع شرفه في نفسه وشرف متعلقه)[4].

فحفظ الدين المقصود الأعظم بل هو أعلى المراتب وأشرفها وأفضلها.

وقد شرع الله تعالى لحفظ هذا الدين أموراً كثيرة مشتملة على أقوال وأعمال، ومن الأعمال التي شرعت ولها أثر في حفظ الدين – الأعمال الخيرية – والتي يظهر أثرها في حفظ الدين من جانبي الوجود والعدم.

أما ما شرع من العمل الخيري للحفاظ على الدين من جانب الوجود فأمور منها:

---

(١) مقصد حفظ الدين للربابعة ص٤.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/٥.

(٣) الحديث رواه ابن أبي شيبة في مصنّفه عن ابي هريرة بلفظ: أي الأعمال خير وأفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم أي؟ قال: «حج مبرور». مصنف ابن ابي شيبة ٢٠٧/٤.

(٤) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام ٥٤/١.

- **بناء المساجد وإعمارها:**

فلا ينكر أحد أهميّة المسجد ودوره في حفظ الدين وإعلاء شعيرة الصلاة وتعظيمها وإزكاء روح الجماعة وما فيه من الذكر والتسبيح، يقول الله تعالى:

مم نج نح نخ نم نه □ هم □ يج يح يخ يم □ □ لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ [سورة النور، الآيتان ٣٦-٣٧].

وإعمار المساجد بالبناء والصلاة والذكر والنظافة، وتهيئتها للعبادة من علامات الإيمان، قال تعالى: □ □ □ □ □ □ نى ني □ ير □ □ ين □ □ □ □ □□ □ بج بح بخ بم به [سورة التوبة، آية ١٨].

وعمارة المساجد وبناءها من الأعمال الصالحة التي يجري أجرها بعد الموت، ولذلك جاء ترغيب الشريعة فيها، يقول النبي - ﷺ -: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه من بعد موته»(١).

ومن حديث عثمان بن عفان - ﷺ - قال: سمعت النبي - ﷺ - يقول: «من بنى لله مسجداً بنى الله له مثله في الجنة»(٢).

ولا يقتصر أمر إعمار المسجد والاهتمام به على البناء الحسي وما يتوقّف على المال بل يتعدّاه إلى عمل اليد والسواعد من أعمال الخير والنظافة

---

(١) سنن ابن ماجه، باب ثواب معلّم الناس الخير ٨٨/١.

(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل بناء المسجد ٤٢٠/١.

والتطييب، فقد جاء في المسند من حديث عائشة – ك – قالت: «أمرنا رسول الله – ﷺ – ببناء المسجد في الدور، وأمر بها أن تنظّف وتطيّب»(١).

ومن رواية أبي هريرة – ﷺ –: أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد – أو شابا – ففقدها رسول الله – ﷺ –، فسأل عنها – أو عنه – فقالوا: مات، قال: «أفلا كنتم آذنتموني» قال: فكأنهم صغروا أمرها – أو أمره – فقال: «دلوني على قبره» فدلوه، فصلّى عليها، ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله – ﷻ – ينوّرها لهم بصلاتي عليهم»(٢).

وروى ابن أبي شيبة في مصنّفه: أن عمر بن الخطاب – ﷺ – أتى مسجد قباء على فرس له فصلّى فيه، ثم قال: «يا يرفأ، آتني بجريدة» قال: فأتاه بجريدة، فاحتجز عمر بثوبه، ثم كنسه»(٣).

فإنفاق المال لبناء المساجد أو تنظيفها أو تطييبها أو تهيئتها بالوسائل كمكبّرات الصوت والمكيّفات والثلاجات ومياه الشرب والفرش وغيرها يعدّ مقصداً لوجوده على الهيئة التي يؤدي بها رسالته المنوطة به ومكمّلاً ومتمّماً للبناء، ويظهر من كل ذلك حفظ الدين، فمن فعل ذلك يكون قد أسهم في حفظ الدين ببناء وإقامة المسجد؛ لأنه مؤسسة لإرساء العقيدة الإسلامية الصحيحة، وبناء المجتمع السليم المعافى من مظاهر الشرك والإلحاد، كما هو مؤسسة للتعليم ونشر المعرفة والقيم الفاضلة، وإذا كان المقصود الأعظم من هذه الحياة حفظ الدين وجوداً فوجوده بإقامة الشعائر وتعظيمها والمسجد

(١) مسند أحمد ٣٩٦/٤٣.
(٢) صحيح مسلم باب الصلاة على القبر ٦٥٩/٢.
(٣) مصنّف ابن أبي شيبة، باب في كنس المساجد ٣٤٩/١.

الذي هو قلعة تعلّم وتعليم الدين هو أعلى قمة لهذه الشعائر في بنائه الحسيّ والمعنويّ.

- **طباعة المصاحف وكتب العلم:**

طباعة المصحف من أعظم الصدقات الجارية؛ لأن له منفعة تسبل، وقد جاء في نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: (وينفع الميّت صدقة عنه ومنها وقف لمصحف)[1]، وفي الروض المربع: (ويصحّ وقف المصحف والماء المشاع)[2].

فالمسلم في حاجة إلى المصحف لتعلّم القرآن الكريم، ولأن من حقّ القرآن علينا أن نتلوه حقّ تلاوته وعلى الوجه الذي يريده الله تعالى، وهذا لا يتأتّى إلا إذا وجد المسلم مصحفاً مكتوباً، وقد مرّ بنا في حديث ابن ماجه أن النبي – ﷺ – قال: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورّثه...»[3].

وكذلك طباعة الكتب المفيدة التي ينتفع بها الناس في أمور دينهم ودنياهم، فتعدّ من الأعمال الصالحة التي يثاب عليها الإنسان، ويبقى أجرها ويجري نفعها له بعد مماته[4]، وهي داخلة في عموم قوله – ﷺ –: «إذا مات

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشهاب الدين الرملي ٩٢/٦.
(٢) الروض المربع للبهوتي ٤٥٤/١.
(٣) سنن ابن ماجه، باب ثواب معلّم الناس الخير ٨٨/١.
(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتوى رقم ٢٠٠٦٢.

الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[(١)].

فحاجة المسلم إلى المصحف والكتب العلمية ليتعرّف من خلالها على أصول الدين من المصادر، فوجود الدين عند المسلم بالعلم به ومعرفة فقهه، فلا عمل إلا بعلم. وفي هذا يقول النبي – ﷺ –: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»[(٢)]، وقال – ﷺ –:«من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين»[(٣)].

فالعمل الخيري والإنفاق لطباعة المصحف الشريف وكتب العلم المفيدة يؤسس الدين لدى المسلم بمعرفة أصوله وفروعه وفهمه على الوجه الصحيح، ولما أوجب الشارع على المسلم من تعلّم العلم الشرعي والعلم النافع، ومن هنا يظهر حفظ الدين من جانب الوجود في تعلّم المسلم له وتعليمه ومدارسته، قال تعالى: □ □ تن تى تي □ □ □ □ □ [سورة آل عمران، الآية ٧٩].

وأرى في خاتمة هذه المسألة أن الحاجة ماسّة اليوم إلى تأليف الكتاب وطباعته وإلي التحقيق ونحن في عصر تدفق المعلومات عن طريق الوسائل والوسائط المتعدّدة وما يعرف بالإنترنت، والتي قد يكون لها أثر سالب في التعليم والتعلّم، وفي تغييب مصادر العلم الصحيحة والمحققة والمعتمدة.

- رعاية العلماء وكفالة طلبة العلم:

(١) صحيح مسلم، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ١٢٥٥/٣.
(٢) صحيح البخاري، باب خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه ١٩٢/٦.
(٣) صحيح البخاري، باب العلم قبل القول والعمل ٢٤/١.

إن المقصود الأعظم من العلم هو التعبّد لله تعالى، قال الإمام الشاطبي: (كل علم شرعي فطلب الشارع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبّدية لله تعالى)[1].

فالعلم هو مفتاح العلاقة بين العبد وخالقه، وله مقاصد للعالم الذي يعلّمه وللخلق، فمن مقاصد العلم للعالم[2]:

١- أن يعرف به ربّه وخالقه وليرتقي في معارج الإيمان ومقاماته.

٢- أن يلتزم شرع الله تعالى، قال تعالى: □ □ □ سم □ □ [سورة فاطر، آية ٢٨.

٣- أن يدعو الناس به.

أما مقاصد العلم للخلق فمنها:

١- إخراجهم من الظلمات إلى النور وتعبيدهم إلى خالقهم وتحريرهم من عبادة غير الله، قال تعالى: لخ لم لى لي □ □□ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □يم يى □ □ □ □ [سورة الشورى، آية ٥٢].

٢- تحقيق الربانيّة، قال تعالى: □ □ تن تى تي □ □ □ □ □ [سورة آل عمران آية ٧٩].

٣- محاربة الأخلاق السيئة.

---

(١) الموافقات ٧٣/١.

(٢) انظر: من مقاصد العلم الشريف، أبو عبدالله عبد الفتاح بن آدم المقدشي، بحث منشور بموقع طريق الإسلام بالشبكة العنكبوتية، الانترنت.

فمن هذه المقاصد كان لا بد أن يجد العلماء وطلاب العلم الاهتمام والرعاية وأن تخص أعمال الخير العلماء وكفالة طلاب العلم لا سيما الذين تفرّغوا لطلب العلم وانقطعوا لأجله.

ويستدل على فضل رعاية العلماء وكفالة طلبة العلم بما روي عن أنس بن مالك أنه قال: كان أخوان على عهد النبي – ﷺ –، فكان أحدهما يأتي النبي – ﷺ – والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبي – ﷺ – فقال: «لعلك ترزق به»[(١)].

والمقصود بقوله – ﷺ –: (لعلك ترزق به) أي: فلعل قيامك بأمره سبب لتيسير رزقك لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

وجاء في فقه الحنفية ما نصّه: (لزم على المسلمين كفاية طالب العلم إذا خرج للطلب حتى لو امتنعوا عن كفايته يجبرون كما يجبرون في دين الزكاة إذا امتنعوا عن أدائها والتصدق على العالم الفقير أفضل منه على الجاهل)[(٢)].

وروي أن أم سفيان الثوري قالت له: (اذهب واطلب العلم حتى أعولك أنا بمغزلي)[(٣)].

فعمل الخير وصرف المال للعلماء وطلبة العلم وإعانتهم بالكتب ووسائل البحث والتأليف والتصنيف، مقصده إعداد العلماء والدعاة من أجل تعليم الناس العقيدة الصحيحة والعلم الشرعي ورفع الجهل وما يتعلق بواجب فرضه

(١) سنن الترمذي، باب في التوكّل على الله ١٥٢/٤.
(٢) انظر: العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية لابن عابدين ٧٢/١.
(٣) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح ٤٦/٢.

الله تعالى لحفظ الدين، ومن جهة طلبة العلم فيعينهم على تحصيل العلم وحفظه وفهمه ليصبحوا علماء، وكل ذلك مما يحفظ الدين من جانب الوجود.

- **العمل الخيري في مجال الدعوة إلى الله:**

إن الدعوة إلى الله تعالى من أعظم الأعمال التي تؤسس لإقامة الدين وحفظه، قال تعالى: □ بن بى بي تر □ □ تن تى تي □ □ □ [سورة فصلت، آية ٣٣].

وقال تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ نى ني □ير □ □ ين [سورة آل عمران، آية ١٠٤].

ولكن هذه الدعوة لا بدّ لها من إعداد للعلماء والدعاة والتهيئة لبيئتها، ولا بد من الإنفاق من أجل أن تنتج ثمرتها وهي وجود المجتمع المؤمن الموحّد الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

والعمل الخيري في مجال الدعوة ونشرها مستهدف العامة، ويبدو هذا جليّاً في بلاد الإسلام، لكنه في رأيي يحتاج إلى جهد ومجهود أكبر بالإنفاق المالي والفكر والتخطيط ليشمل جانبين مهمين:

أحدهما: الأقليّات المسلمة في بعض البلاد الآسوية والأفريقية وغيرها.

الثاني: غير المسلمين في بعض البلاد الإسلامية أو البلاد غير الإسلامية وهم أقرب إلى الإسلام ولكنّهم لم يخصصوا بالدعوة أو تنصّروا أو عبدوا الأوثان بسبب الفقر أو المرض أو الحروب.

فالعمل الخيري في مجال الأقليّات المسلمة لا يختصر على الإعانات المادية فقط بل يتعدّاها إلى الإنفاق لتعليمهم أصول الدين وفقه العبادات واللغة العربية والقرآن الكريم وإلي طباعة المصاحف وترجمتها باللغات

السائدة عندهم وطباعة الكتب العلمية بلغاتهم. مع الوضع في الاعتبار أن تلك البلاد ينشط فيها العمل التنصيري ويقدم لهم الدعم المادي والعيني.

أما في مجال غير المسلمين أو الذين هم أقرب إلى الإسلام فتقدم لهم أيضاً الدعوة بوسائلها المختلفة إلى جانب الدعم المادي والعيني الذي يشمل بناء المدارس والمستشفيات وحفر الآبار، تأليفاً لقلوبهم للإسلام وإظهاراً لسماحة الدين واهتمامه بمبدأ الإنسانية، عملاً بقوله تعالى: □ بر □ □ بن بى بي تر □ □ تن تى تي □ □ □ □□ □ □ □ □ [سورة الممتحنة آية ٨].

وقد أجاز العلماء إعطاء غير المسلم صدقة النافلة، قال الإمام الشافعي – / –: (ولا بأس أن يتصدق على المشرك من النافلة وليس له في الفريضة من الصدقة)(١).

وقد أفتى الشيخ ابن باز –/– بجواز الصدقة على غير المسلمين إذا كانوا ليسوا حرباً لنا، وقال: (إن المسلم له أن يصل أقاربه الكفار وغير أقاربه من الكفار بالمال، والإحسان إذا كانوا ليسوا حرباً لنا في حال هدنة)(٢).

فالإحسان إلى غير المسلم يقوّي إيمانه ويؤلّف قلبه ويرغّبه في الإسلام ويدفع شرّه، وإذا كان الرجل يعطى لحفظ بدنه وحياته فإن إعطاءه لحفظ دينه وإيمانه أولى.

(١) الأم للشافعي ٢/٦٥.

(٢) من فتاوى الشيخ ابن باز – / – من الموقع الرسمي للشيخ الإمام ابن باز بالشبكة العنكبوتية للمعلومات، الانترنت.

ولا شك أن هذا الجهد وذلك العمل مقدم من بعض الهيئات والجمعيات والمؤسّسات الرسمية وغير الرسميّة، لكن ذلك يحتاج إلى مزيد من التكامل والتضافر من جميع أفراد المجتمع لاسيما الميسورين منهم، وليكن هماً عاماً تقدم له الأموال والأفكار.

المطلب الثالث

أثر العمل الخيري في حفظ الدين من جانب العدم

لقد سبق الذكر أن المقصود من حفظ الدين من جانب الوجود تثبيت أركانه وأحكامه في الوجود الإنساني والحياة، وذلك كتشريع الإيمان والنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج كذلك يجب حفظه من العدم بإبعاده عن كل ما يخالفه ويعارضه كنشر الكفر والإلحاد والبدع والرذيلة والتهاون في أداء واجبات التكليف(١).

وللعمل الخيري أثر في حفظ الدين من جانب العدم، كما أنه يحفظه من جانب الوجود. وتتلّخص الأعمال الخيرية التي يكون لها أثر في حفظ الدين من العدم في التالي:-

- دعم وتشجيع العمل الفردي والجماعي والمؤسّسي في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن أمة الإسلام أمة عمل ودعوة إلى الخير والفضيلة وتبذل لذلك المال والجهد والوقت، قال تعالى في وصفها: نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم يى [سورة آل عمران آية ١١٠].

(١) انظر: علم المقاصد الشرعية، نور الدين الخادمي ٨/١.

فخيريّة هذه الأمة بأن تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين وله مقاصد منها:

- إقامة الملة والشريعة وحفظ الدين والعقيدة.
- إصلاح حياة الأمة بجميع جوانبها.

ولما كان المنكر يأتي على الدين بالفساد والتضييع، شرع النهي عنه، وذلك كمحاربة الشرك والمرتدّين والزنادقة وأهل البدع والشهوات التي من شأنها إعدام الدين بترك أصوله ومصادره، والعمل بما يخالفها.

ولا يتأتّى ذلك إلا بمن يقوم به من الأفراد والهيئات والمؤسّسات، وهم بحاجة إلى دعم ماديّ ومعنويّ، فمن أفضل الأعمال الخيرية لحفظ الدين من العدم مال أو جهد أو فكر يقدّم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيكون سبباً في هداية أناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، يقول النبي- ﷺ -: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[1].

- دعم المجاهدين في سبيل الله، وتجهيز الغزاة، ورعاية الجرحى وأسر الشهداء وخلافتهم:

إذا تقدّم أن مقصود الشريعة الأعظم هو حفظ الدين فمتى تعارض مع غيره قدّم الدين، ولذلك شرع الجهاد في سبيل الله وهو مرتبة من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأمر الله به لنصرة دينه وإعلاء كلمته، وفي

(١) صحيح البخاري ١٣٤/٥، صحيح مسلم، باب فضائل علي بن أبي طالب - ﷺ - ١٨٧٢/٤.

هذا يقول تعالى: تم تهثم □ جم □ حم □ خم [سورة الأنفال آية ٣٩].

وقد جعل الله سنة التدافع حتى يكون الدين هو الأسمى والأعلى قال تعالى: بهتج تح تخ تم تهثم □ [سورة البقرة، آية٢٥١]. وقال تعالى: يى □ □ □ □ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ □ □ □ □ □ □ □ [سورة الحج، آية ٤٠].

ومن لوازم الجهاد إعداد المجاهدين وتجهيز الغزاة وخلافتهم في أهليهم، روى البخاري عن زيد بن خالد – ﷺ – أن رسول الله – ﷺ – قال: «من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا»(١).

فإذا كان الجهاد يُقصد بفعله حماية الدين من أعدائه وردّ كيدهم كما قال تعالى: تم تهثم □ جم □ حم □ خم [سورة الأنفال، آية ٣٩]، فإن ما يقوم به غير المجاهد والغازي من تهيئة أسباب سفره من شيء قليل أو كثير أو أعدّ له وسائل القتال من مال أو طعام، ونفقة ورعاية لأهله، مؤد إلى ذات الغرض.

فالعنصر البشري لا يستغنى عن العنصر المالي في الجهاد، وإذا كان العنصران ضروريين للمعركة كان من جهّز غازياً له من الأجر مثل ما للغازي؛ لأن أيّاً من الأمرين لا يستقلّ بالعمل، فكان اشتراكهما في الأجر

(١) صحيح البخاري، باب فضل من جهز غازيا ٢٧/٤، صحيح مسلم، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ١٥٠٦/٣.

كاشتراكهما في إدارة المعركة.

وإذا كان الغازي لا يستطيع الجهاد وهو مشغول بتبعات بيته وأهله من حفظ وعرض وتأمين روعة أطفال وقضاء مصالح زوجة وأولاد، كان من يخلف الغازي في أهله بخير شريكاً في الأجر؛ لأنه الذي ساعده[1].

نخلّص من ذلك كله إلي أن الأفراد والجماعة في المجتمع لهم دور في حفظ الدين من العدم والدفاع عنه بالنفس والمال بل باللسان فقد جاء في حديث أنس في مسند أحمد أن النبي – ﷺ – قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[2].

فلا يبخلنّ أحد بماله أو بفكره أو لسانه أو شعره في مساعدة المجاهدين والغزاة في سبيل الله، وفي خلافة أهلهم، كما لم يبخل المجاهد بنفسه في سبيل الدفاع عن الدين وحفظه من العدم، فها هو الصحابي الجليل حسَّان ابن ثابت كان شاعراً عظيماً وأنشد الكثير من الشعر لنصرة الإسلام ولكنه لم يشهد مع النبي – ﷺ – المشاهد، ودافع عن النبي – ﷺ – لما قال النبي – ﷺ –: «ما منع القوم الذين نصروا رسول الله – ﷺ – بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم؟»[3]، فقال حسان: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، حتى لقّب بشاعر الرسول – ﷺ –، فقال الرسول – ﷺ – في حقة: «إنَّ الله يؤيد حسَّان بروح القدس ما يفاخر أو ما ينافح عن رسول الله »[4].

---

(١) انظر: المنهل الحديث في شرح الحديث ٣/٩٨.

(٢) مسند أحمد ٩/٢٧٢، سنن أبي داود ٣/١٠.

(٣) أسد الغابة لابن الأثير ٢/٦.

(٤) سنن الترمذي ٥/١٣٨، وصحّحه الألباني فس السلسلة ٤/٢١٤.

المبحث الثالث

أثر العمل الخيري في حفظ النفس

المطلب الأول

تعريف النفس

النفس وتجمع على نفوس لها معان: النفس: الروح الذي به حياة الجسد، وكل إنسان نفس حتى آدم عليه السلام، والذكر والأنثى سواء، وكل شيء بعينه نفس(١).

والنفس يعبّر بها عن الإنسان جميعه كقولهم: عندي ثلاثة أنفس، ومنه قوله تعالى: لخ لخ لم له مج مح مخ مم نج نح (٢) [سورة الزمر، الآية ٥٦].

وروي عن ابن عباس – م – أنه قال: لكل إنسان نفسان: نفس العقل الذي يكون به التمييز، والأخرى نفس الروح الذي به الحياة(٣).

وعرّفها الإمام الغزالي في الإحياء بأنها: اللطيفة التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته(٤).

وأرى أنَّ هذا التعريف للإمام الغزالي مؤيّد لما جاء في القرآن من أنَّ النفس سلطة على الذات بجملتها، ومن ذلك قوله تعالى: مج مح مخ مم نج

(١) العين ٢٧٠/٧.
(٢) لسان العرب ٢٣٤/١.
(٣) لسان العرب ٢٣٥/٦، تاج العروس ٥٦١/١٦.
(٤) إحياء علوم الدين للغزالي ٣/٣ بتصرف.

[سورة المدثر، آية ٣٨]، وقوله تعالى: لم لى لي □ □ □ □ □ [سورة النحل، آية ١١١]، فمعنى النفس بأنها الشخصية البشرية بكامل الهيئة هو المعنى الأكثر والأغلب في القرآن الكريم.

المطلب الثاني

أثر العمل الخيري في الحفاظ على النفس من جانب الوجود

حفظ النفس البشرية من لوازم حفظ الدين، فلا قوام للدين بدون حفظ النفس، وقد وضعت الشريعة تدابير عديدة لحفظ النفس من جانبين:

الجانب الأول: جانب الطلب: **وهو ما يتحقّق به وجود النفس ونشأتها وهو الوجود الدنيوي.**

الجانب الثاني: جانب الدفع: **وهو ما يحتفظ به وجود النفس عن تعرّضها للخطر أو الاعتداء عليها واستمرار وجودها في الحياة حتى تؤدي وظيفتها.**

فمن قواعد حفظ النفس من جانب الوجود ما أمر الله به من وسائل النماء والإحياء ولوازم ذلك من الزواج والتناسل والغذاء من الطعام والشراب.

ولست هنا بصدد التفصيل فيما شرع للحفاظ على النفس من جانب الوجود، بل لبيان العمل الخيري وتأثيره في الحفاظ على النفس وجوداً، وسيظهر ذلك جليّاً في الأمثلة الآتية.

دعم مشروعات الزواج ومحاربة العنوسة باعتبار أنَّ الزواج وسيلة لحفظ النوع البشري، قال تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [سورة الفرقان، آية ٥٤]، وقال تعالى: لخ لم لى لي □ □ □ □

□ □ □ □ □ نم نى □ □ [سورة النساء آية ١]، وقال تعالى: مخ
مم نج نح نخ نم نه □ هم □ يج يح يخ يم □ [سورة النحل، آية٧٢].

وفي الحديث الصحيح يقول النبي – ﷺ –: «تزوّجوا الودود الولود، إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة»(١)، فأمر النبي – ﷺ – بالزواج ونهى عن التبتّل، فبالزواج يكون العفاف وتحصين الفروج وحفظ النوع البشري بالولد.

وإذا نظرنا في بلاد الإسلام وجدنا عدداً كبيراً من الشباب المسلمين الملتزمين الذين يريدون العفاف بالزواج، ولكن يحول بينهم وبين الزواج الفاقة وعدم استطاعة الباءة، فكانت الحاجة ماسة إلى توجيه العمل الخيري لدعم مشاريع تزويج الشباب –القائمة فعلاً– وإقامة مشاريع جديدة بالمجهودات الفردية لأهل البر والإحسان أو للمؤسّسات والجمعيات الخيرية، فمثل هذا المشروع يعدّ من أفضل المشاريع التي يُقدّم فيها الدعم الماديّ والعينيّ؛ لأنه يسهم في تحقيق مقصد من المقاصد الكليّة ألا وهو حفظ النفس من جانب الوجود.

المطلب الثالث

أثر العمل الخيري في حفظ النفس من جانب العدم

من توابع وجود النفس البشرية استمرار بقاءها وهذا ملاحظ في ما أمر الله تعالى به الإنسان من وسائل النماء والبقاء من الطعام والشراب والملبس والمسكن وجميع العادات، فهذه من شأنها أن تضمن بقاء النفس بعد وجودها، وأن تمنع إعدامها، لأن الإنسان خلق من أجل غاية وهدف ووظيفة

(١) مسند أحمد ٢٠/٦٣.

وهي العبادة والخلافة والإعمار، فبوجوده تتحقق هذا الوظيفة وبعدمه تنتفي. ومن أمثلة ما شرع الله تعالى لحفظ النفس من العدم تحريم قتلها والاعتداء عليها، قال تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ [سورة الإسراء، آية ٣٣].

ومن الأمثلة كذلك تشريع الرخص بسبب الأعذار الموجبة للمشقة التي تلحق النفس، فينشأ عنها ضرر عليها، وذلك كرخصة الفطر في رمضان بسبب المرض والسفر، وأكل الميتة عند الضرورة وخشية الهلاك بسبب الجوع والمخمصة.

وكل عمل من الأعمال الخيرية أنفق فيه المال أو بذل فيه جهد أو فكر أو تخطيط بقصد بقاء النفس البشرية ، يكون له أثر في حفظها من العدم، وقد روي عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: □ □ يم يي □ □ [سورة المائدة، آية ٣٢]، أنه قال: (إحياؤها: إنجاؤها من غرق أو حرف أو هدم أو هلكة)[1]، فالذي يسعف إنساناً في مهلكة كأنه أنقذ الناس جميعاً.

ووسائل العمل الخيري التي يكون فيها أثر في حفظ النفس من جانب العدم كثيرة ومتعدّدة فنذكر منها:

- سقي الماء وحفر الآبار وتوفير المضخات لتنقية الماء وإطعام الطعام:

لا شك أن الماء من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، قال تعالى: نى ني □ ير □ □ [سورة الأنبياء، آية ٣٠]، ومن أفضل الأعمال الخيرية والصدقات الفردية سقيا الماء سواء كان لإنسان أو حيوان

(١) فتح القدير للشوكاني ٢/٤٠.

أو طائر، ففي حديث سعد بن عبادة – ﷺ – قال: قلت يا رسول الله: أي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء»[١].

وقد رغب النبي – ﷺ – في يوم الحج فقال في حجة الوداع: «انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقياكم لنزعت معكم»[٢]، فناولوه دلواً فشرب منه.

وروى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة – ﷺ – قال: بينما رجل يمشي بطريق اشتد به العطش، فوجد بئرا فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغني، فنزل البئر فملأ خفاه، ثم أمسكها بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»[٣].

يقول ابن بطال: سقى الماء من أعظم القربات إلى الله تعالى وقد قال بعض التابعين: من كثرت ذنوبه فعليه بسقي الماء. وإذا غفرت ذنوب الذى سقى الكلب فما ظنّكم بمن سقى رجلاً مؤمنًا موحداً أو أحياه بذلك[٤].

فالماء به حياة النفس وبقاءها، ومن آثار الصدقة بالماء أن تحيا به النفوس، وهو كذلك سبب لعلاج الأمراض وشفاء الأسقام، فمن بذل الماء ومنحه كان باذلاً لشيء فيه حياة الناس وبقاء الجنس والنوع البشري.

---

(١) السنن الكبرى للنسائي١٦٦/٦، سنن ابن ماجه باب فضل صدقة الماء ١٢١٤/٢.
(٢) صحيح مسلم، باب حجة النبي – ﷺ – ٨٨٦/٢.
(٣) الأدب المفرد للبخاري، باب رحمة البهائم ١٩٦/١.
(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٥٠٣/٦.

وعمل الخير بالتصدّق بالماء يشمل السقيا وتوزيع القوارير على المساجد وغيرها، وحفر الآبار والمضخات في الأماكن التي يحتاجها الناس أو يسقون أنعامهم من حياضها، أو دفع فاتورة لمسكين محتاج، أو توفير المضخات لتنقية المياه لتكون صالحة للشرب بدلاً من المياه الآسنة كما يوجد في بعض الدول الفقيرة.

وقد ورد في تقرير منظمة الصحة العالمية أن هناك مليونين من البشر منهم ما يقرب مليون ونصف من الأطفال يموتون بسبب شرب المياه الملوّثة، وسدس سكّان العالم يعانون من عدم توفّرها(١).

ويلحق بالسقايا إطعام الطعام، فالطعام حاجة ماسّة للبشر، وبالطعام يحيى الإنسان، وبعدمه بجوع، وقد يؤدي به الجوع إلى الهلاك والموت، فيقدّم الطعام إلى الفقراء والمساكين لسدّ حاجتهم من الجوع، وهو كذلك من خير الأعمال، قال تعالى: □ □ □ □ □ □ □ [سورة الإنسان، آية ٨]. فهذا ثناء من الله تعالى على من أطعم الطعام. وفي حديث ابن عمر – م – أن رجلاً سأل النبي – ﷺ –: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»(٢).

ومن حديث صهيب في مسند الإمام أحمد أنَّ النبي – ﷺ – كان يقول: «خياركم من أطعم الطعام وردّ السلام»(٣)، وإطعام الطعام يعدّ من الأمور

(١) من موقع منظمة الصحة العالمية بالشبكة العالمية للمعلومات، الانترنت، نشرة إخبارية صادرة في ١١/ سبتمبر/ ٢٠١٨م.

(٢) صحيح البخاري، باب إطعام الطعام من الإسلام ١٢/١.

(٣) مسند أحمد ٣٤٨/٣٩.

تدخل السرور على المسلم، وهو بذلك حاز الأعمال المحببة، يقول النبي – ﷺ –: «أحبّ الأعمال عند الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً»(١).

وجاء في تقرير منظمة الصحة العالمية أنه في كل ست ثوان يموت طفل بسبب الجوع، وأنَّ تسعمائة وخمسة وعشرين مليوناً من البشر واقعون في قبضة الجوع، وأنَّ ما يقارب ٨٢١ مليوناً في العالم يعانون من الجوع(٢).

ويعتبر هذا التقرير أول تقييم عالمي تنشره الأمم المتحدة حول الأمن الغذائي والتغذية بعد تبنّي أهداف التنمية المستدامة "٢٠٣٠" التي تصرف على القضاء على الجوع وجميع أشكال سوء التغذية بحلول ٢٠٣٠، ووضع ذلك على أولويات السياسات العالمية.

فما أحوج الأفراد والجماعات إلى توجيه الأموال والأعمال الخيرية والصدقات نحو السقيا والإطعام للفقراء وأصحاب الحاجة والمساكين والأطفال حفاظاً على أرواحهم من الهلاك والموت بسبب الجوع والظمأ، وبذلك يسهم العمل الخيري بالسقيا والإطعام في تحقيق مقصد الشارع في الحفاظ على النفس من العدم.

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٢/٤٥.

(٢) من موقع منظمة الصحة العالمية بالشبكة العالمية للمعلومات، الانترنت، نشرة إخبارية صادرة في ١١/ سبتمبر/ ٢٠١٨م.

- **كفالة الأيتام ورعاية الأرامل:**

ومن مظاهر الحفاظ على النفس وهي صورة من صور العمل الخيري كفالة الأيتام ورعاية الأرامل، فقد حثّت الشريعة على كفالة اليتيم والرفق به والتفطّن لحاله وتخفيف ما يجد من ضيق وشدة وهمّ وحزن، بل جعل الله تعالى البذل له من خصال البرّ والتقوى، فقال تعالى: □ □ □ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم يى □ □ □ □ ٌّ ٍّ َّ [سورة البقرة، آية ١٧٧].

وفي صحيح البخاري أنَّ النبي – ﷺ – قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنَّة هكذا»، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينهما شيئاً[(١)].

واليتيم هو من مات أبوه وهو دون سن البلوغ، سواء ذكراً أو أنثى. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – / –: (اليتيم في الآدميين من فقد أباه؛ لأن أباه هو الذي يهذبه ويرزقه وينصره بموجب الطبع المخلوق؛ ولهذا كان تابعاً في الدين لوالده؛ وكان نفقته عليه وحضانته عليه والإنفاق هو الرزق، والحضانة هي النصر لأنها الإيواء ودفع الأذى، فإذا عدم أبوه طمعت النفوس فيه؛ لأن الإنسان ظلوم جهول والمظلوم عاجز ضعيف)[(٢)].

فكفالة اليتيم تحفظ نفسه من العدم بأن توفّر له أسباباً ماديّة وأسباباً معنويّة؛ إذ ليس المقصود بالكفالة الكفالة المادية فقط، بل هناك مقاصد معنوية تتمثل في:

١- الرحمة والرأفة بهم والإحسان إليهم.

---

(١) صحيح البخاري، باب من يعول يتيماً ٩/٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠٨/٣٤، ١٠٩.

٢- التعويض عن حرمان الأبوة والإيواء ودفع الأذى والرعاية والقيام بالشؤون الخاصة من التربية والتعليم والنصح.

وقد جاء رجل إلى رسول الله - ﷺ -: يشكو قسوة قلبه فقال له رسول الله - ﷺ -: «أتحب أن يلين قلبك؟» فقال: نعم، قال: «أدن اليتيم منك، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك؛ فإنَّ ذلك يلين قلبك، وتقدر على حاجتك»(١).

وروى الطبراني في مكارم الأخلاق عن أبي أمامة قال: قال رسول الله - ﷺ-: «من مسح رأس اليتيم كتب الله له بكل شعرة من رأسه حسنة»(٢).

كذلك رغب الإسلام في رعاية الأرامل، والأرملة هي التي مات عنها زوجها. قال ابن قتيبة: (وسميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج، يقال: أرمل الرجل، إذا فنى زاده)(٣).

ومن الترغيب ما رواه أبو هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل»(٤).

قال الإمام النووي: (المراد بالساعي الكاسب لهما العامل لمؤنتهما)(٥).

---

(١) حلية الأولياء وطبقة الأصفياء ٢١٤/١.

(٢) كارم الأخلاق للطبراني ٣٤٩/١.

(٣) انظر: لسان العرب ٩٦/١١، المصباح المنير ٣٩/١، مرقاة المفاتيح ٣١٠١/٧.

(٤) صحيح البخاري، باب الساعي على الأرملة ٦٢/٧، صحيح مسلم، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين ٢٢٨٦/٤.

(٥) شرح النووي على مسلم ١١٢/١٨.

ففي رعاية الأرامل اللائي يرعين أيتامهنّ تثبيتاً لصبرهنّ على تربية الأيتام ومحافظة على بيئة الأسرة من التفكّك وضياع الأولاد.

وفي خلاصة القول فإن الأيتام والأرامل من أكثر طبقات المجتمع حاجة إلى الإحسان والرفق والرعاية، فإن لم يوجد الراعي والكافل والساعي لهما يصيبهما الضرر والهلاك، وذلك لضعفهما وقلة قدرتهما على القيام بما يحقّق مصالحهما، فلتتوجّه الأعمال الخيرية نحوهما بقصد حفظ النفس من جانب العدم حفظاً معنوياً ومادياً.

- بناء المستشفيات وعيادة المرضى ودعم علاجهم:

المرض ابتلاء من الله تعالى للعبد، قال تعالى: ﴿ مج مح مخ ممنج نح نخ [سورة الأنبياء، آية ٣٥]. وقد يشتدّ المرض بالإنسان فيقعده عن النشاط ويفقده الراحة والاستمتاع بالحياة، وفي هذه الحالة يكون المريض في حاجة إلى الرعاية والعناية والحنان والعاطفة والعيادة، تخفيفاً عليه لما يجد ويعاني من الألم، فالرعاية والعناية بالمريض لهما جانبان: جانب معنويّ وجانب ماديّ.

والتشريع الإسلامي يسعى إلى رفع الحرج عن المريض والتخفيف عنه، ويحضّ على الوقوف إلى جوار المريض ورفع روحه المعنوية، بل جعل زيارة المريض وعيادته حقاً على المسلمين فقال الرسول – ﷺ –: «حق المسلم على المسلم ست»، قيل: ما هي يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»[1]، وفي صحيح مسلم قال رسول الله –

(١) البخاري في الأدب المفرد ١/٥٠٤، مسلم ٤/١٧٠٥.

ﷺ -: «إنَّ الله – ﷻ – يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب، كيف أعودك، وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنَّ عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟»(١)، ومن هذا الحديث يرى بعض العلماء أنَّ العيادة أكثر ثواباً من الإطعام والإسقاء(٢).

فالنفس كما تحيا وتبقى بالطعام والشراب فكذلك تحيا بالمعاني والتنفيس والتفريج ويحدث ذلك بما يقال للمريض من الدعاء بطول العمر وبتشجيعه بلطف المقال بقصد إحياء الروح المعنوية فيه، وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدريّ أن النبي – ﷺ – قال: «إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل، فإنَّ ذلك لا يرد شيئاً، وهو يطيب بنفس المريض»(٣).

يقول الإمام ابن القيّم – / –: (وفي هذا الحديث نوع شريف جداً من أشرف أنواع العلاج، وهو الإرشاد إلى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة، وتنتعش به القوة، وينبعث به الحار الغريزي، فيتساعد على دفع العلة أو تخفيفها الذي هو غاية تأثير الطبيب)(٤) .

فهذا النوع من الأعمال الصالحة والأعمال الخيرية لا يكلّف مالاً ولا وقتاً طويلاً غير أنه مؤثّر في حفظ نفس المريض، وتطييب قلبه وإدخال ما يسرّه عليه. ولله درّ من قال:

---

(١) صحيح مسلم، باب فضل عيادة المريض ١٩٩٠/٤.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١١٢٣/٣.

(٣) سنن ابن ماجه، باب ما جاء في عيادة المريض ٤٦٢/١.

(٤) الطب النبوي لابن القيم ٨٧/١، زاد المعاد في هدي خير العباد ١٠٨/٤.

أقبل لنفسك واستكمل فضائلها .·. فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان[1]

ولما كان المرض يؤثّر على الجسم بالوهن والضعف وقلة الحركة كان المريض في حاجة إلى استعادة القوة والشدة، ولكن قد يحول بينه وبين تحقيق ذلك الفقر وضيق ذات اليد، أو قد يستنفد كل ما عنده من المال بسبب غلاء العلاج والدواء.

فهذا باب من أبواب الخير والعمل الصالح لرعاية المرضى بتقديم الدواء وتوفيره لهم لا سيما للذين يعانون من الأمراض المزمنة والأمراض التي تتطلّب دواء مستمراً كمرض السكر وضغط الدم والسرطان والفشل الكلوي والأمراض المستوطنة بسبب الفقر ونقص الغذاء وتلوّث المياه كالكوليرا والبلهارسيا.

فخير المال ما أنفق لإنقاذ نفس من الموت والهلاك وحفظها من الوهن والضعف حتى تنهض للقيام بواجب التكليف وعمارة الأرض، وخير العمل والجهد والعلم والفكر ما وظف لتحقيق هذا الغرض. وقد رغب الإسلام في هذا النوع من الأعمال الخيرية، ومن ذلك قوله – ﷺ –: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[2].

يقول ابن دقيق العيد: (هذا الحديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسّر من

(١) من قصيدة نونية أبو الفتح البستي.

(٢) صحيح مسلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٤/٢٠٧٤.

علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك ومعنى تنفيس الكربة إزالتها)[1] .

ويضاف إلى ما تقدّم بناء المستشفيات والمراكز الصحية؛ فإنه يعدّ من قبيل الصدقة الجارية. وهي الأماكن التي يرتادها المرضى بحثاً عن تشخيص الأمراض وتحديد الدواء المناسب لها.

(١) شرح الأربعين النوويّة لابن دقيق العيد ١/١١٩.

الخاتمة

تم بعون الله وتوفيقه البحث، وقد توصّلت منه إلى النتائج الآتية:

١- إن حفظ الضروريّات الخمس من أهمّ مقاصد الشريعة الإسلامية، ومن أسمى مطالبها وأجلّ حكمها، وهو واجب على كل إنسان مكلّف بإجماع جميع الملل.

٢- إن مقصد الشارع من هذه الضروريّات الخمس هو رعاية المصالح ودرء المفاسد.

٣- إن الدين هو أعلى مراتب الضروريّات الخمس، ويليها رتبة النفس.

٤- إن الدين عقيدة وشريعة، وقد شرع الله أحكاماً لحفظه من جانبي الوجود والعدم مشتملة على أقوال وأفعال.

٥- حفظ النفس البشرية من لوازم حفظ الدين، فلا قوام للدين بدون حفظ النفس.

٦- لا يقتصر حفظ النفس على الجانب المادي والبدني فقط، بل يشمل الجانب المعنوي والروحي.

٧- العمل الخيري له أثر في حفظ الدين وجوداً وعدماً، وله وسائل عدة تتنوّع بحسب استطاعة الإنسان وقدرته.

٨- العمل الخيري يعود على مصالح الإنسان والنفس البشرية، ويحفظ وجودها ويؤدّي إلى استقرارها وبقائها حتى تقوم بواجب الخلافة في الأرض والإعمار ويحفظها من العدم.

٩- ليس شرطاً أن يكون العمل الخيري المؤثّر في حفظ الدين والنفس ببذل المال، فالآراء والأفكار والخطط والاستراتيجيّات يمكن أن تسهم في

تحقيق الحفظ.

١٠- يكون العمل الخيري بالجهد الفردي كما يكون بالجهد الجماعي والمؤسّسي.

١١- لا يختصر العمل الخيري على الرجال فقط، فالمرأة لها دور في العمل الخيري لا يقلّ عن الرجل، سواء أكان ذلك ببذل المال أم بالأفكار والخطط والبرامج أو العمل اليدوي.

١٢- تتكامل جهود العمل الخيري فتستهدف كل جوانب الحياة وكل فرد أو جماعة، فالمسلم كالغيث أينما وقع نفع.

١٣- من مقاصد الشريعة توجيه السلوك الفردي والجماعي للتفاعل مع قضايا المجتمع وذلك بالحض والترغيب في الأعمال الخيريَّة.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم (جل من أنزله).

التفسير:

١- تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط: دار الطيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٢- فتح القدير للشوكاني: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ط: الأولى ١٤١٤هـ، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب – دمشق، بيروت.

الحديث الشريف وشروحه:

٣- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض.

٤- حلية الأولياء وطبقة الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٩هـ.

٥- سنن ابن ماجه: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٦- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا –

بيروت.

٧- سنن الترمذي: محمد بن موسى بن سورة الترمذي أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي ١٩٩٨م – بيروت.

٨- سنن النسائي: السنن الكبرى: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ط: الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب.

٩- شرح الأربعين النووية: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ)، ط: السادسة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، مؤسسة الريان.

١٠- شرح النووي على مسلم: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ، ط: الثانية ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١١- شعب الإيمان للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور/ عبدالعلي عبدالحميد حامد، مكتبة الرشد بالرياض، ط: الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

١٢- صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة النيسابوري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، ط: الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م – المكتب الإسلامي.

١٣- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط: الأولى ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.

١٤- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط: دار إحياء التراث العربي.
١٥- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد أبو الحسن الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ). ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م. دار الفكر – بيروت – لبنان.
١٦- مسند أحمد: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
١٧- مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة عبدالله بن محمد ابن إبراهيم العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط: الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد – الرياض.
١٨- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.
١٩- المعجم الكبير للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط: الثانية، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
٢٠- مكارم الأخلاق للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، ط: الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٢١- المنهل الحديث في شرح الحديث: الأستاذ الدكتور/ موسى شاهين

لاشين، ط: الأولى ٢٠٠٢م، دار المدار الإسلامي.

الفقه وأصوله ومقاصد الشريعة والفتاوى:

٢٢- الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيف الدين علي بن أبي علي ابن محمد الآمدي (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: عبدالرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق.

٢٣- الأم للشافعي: أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي بن العباس ابن عثمان القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٢٤- الروض المربع شرح زاد المستقنع: منصور بن يونس البهوتى الحنبلي (ت ١٠٥١هـ)، الناشر: دار المؤيد – مؤسسة الرسالة.

٢٥- شرح مختصر الروضة: سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم نجم الدين الطوفي (ت ٧١٦هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط: الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة.

٢٦- العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية: محمد أمين بن عمر ابن عبدالعزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت ١٢٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة.

٢٧- علم المقاصد الشرعية: نور الدين مختار الخادمي، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، مكتبة العبيكان.

٢٨- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: جمع وترتيب: أحمد عبدالرزاق الدويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الإدارة العامة للطبع – الرياض.

٢٩- قواعد الأحكام في مصالح الأنام: أبو محمد عز الدين بن عبدالسلام الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، ط: ١٤١٤هـ ١٩٩١م، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

٣٠- مجموع فتاوى العلامة عبدالعزيز بن باز: عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز (ت ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

٣١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبدالحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبدالرحمن ابن محمد قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام النشر: ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٣٢- مختصر التحرير شرح الكوكب المنير: تقي الدين أبو البقاء محمد ابن أحمد بن عبدالعزيز المعروف بابن النجار الحنبلي (ت ٩٧٢هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، مكتبة العبيكان.

٣٣- المستصفى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي، ط: الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية.

٣٤- مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، ط: الرابعة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٥- مقصد حفظ الدين ودوره في القضاء على العنف الجامعي: أحمد حسن الربابعة، بحث منشور بمجلة دراسات علوم الشريعة والقانون.
٣٦- من مقاصد العلم الشريف، أبو عبدالله عبدالفتاح بن آدم المقدشي، ورقة بحثية منشورة بموقع طريق الإسلام بالشبكة العنكبوتية للمعلومات – الانترنت.
٣٧- الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، دار ابن عفان.
٣٨- نشر البنود على مراقي السعود: عبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، الناشر: مطبعة فضالة بالمغرب.
٣٩- نهاية المحتاج شرح المنهاج: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت ١٠٠٤هـ)، ط: ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، دار الفكر – بيروت.

كتب عامة ومواقع بالإنترنت:

٤٠- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
٤١- الآداب الشرعية والمنح المرعية: محمد بن مفلح بن محمد ابن مفرج، المقدسي الحنبلي (ت ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب.
٤٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن محمد الشيباني الجزري عز الدين بن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، الناشر: دار الكتب

العلمية، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٤٣- ثقافة العمل الخيري- كيف نرسّخها وكيف نعمّمها/ الأستاذ الدكتور بكار. ط: الأولى ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م . الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – جمهورية مصر العربية.

٤٤- زاد المعاد من هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ط: السابعة والعشرون ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، مكتبة المنار الإسلامية – الكويت.

٤٥- الطب النبوي: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت.

٤٦- العمل الخيري والتطوعي: الدكتور/ سلطان بن عمر الحصين. بحث محكَّم ومنشور بمجلة الجامعة الإسلاميَّة – العدد ١٧٤.

٤٧- موقع منظمة الصحة العالمية بالشبكة العنكبوتية للمعلومات، الانترنت.

٤٨- وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه: الدكتور/ محمد الزحيلي. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – ط: ١٩٩١م

اللغة والمعاجم:

٤٩- تاج العروس: محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، الناشر: دار الهداية.

٥٠- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط: الأولى ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥١- العين: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور/ مهدي المخزومي، والدكتور/ إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال.
٥٢- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي الفاروقي الحنفي التهانوي (ت ١١٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور علي دحروج، ط: الأولى ١٩٩٦م، لناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت.
٥٣- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل بن منظور الأفريقي (ت ٧١١هـ)، ط: الثانية ١٤١٤هـ، دار صادر – بيروت.
٥٤- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٥- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط: الخامسة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، المكتبة العصرية – الدار النموذجية – بيروت.
٥٦- المصباح المنير: أحمد بن محمد بن على الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
٥٧- معجم اللغة العربية المعاصرة: الدكتور/ أحمد مختار عبدالحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٥٨- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٥٩- المنجد في اللغة: علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (ت ٣٠٩هـ)، تحقيق: الدكتور/ أحمد مختار عمر والدكتور/ ضاحي عبدالباقي، ط: الثانية ١٩٨٨م، الناشر: عالم الكتب – القاهرة.

٦٠- نونية أبي الفتح البستي: علي بن محمد بن الحسين البستي أبو الفتح (ت ٤٠٠هـ).